أوبئة العصور القديمة في البيئات المناخية الباردة والحارة:
نماذج من أوروبا الشمالية وأوراسيا، ومن شبه الجزيرة العربية

Epidemics of antiquity in cold and hot climatic environments: models from Northern Europe and Eurasia, and the Arabian Peninsula.

أد. بن عبد المومن محمد
قسم الحضارة الإسلامية – جامعة وهران1
hmoumene31@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/15 تاريخ القبول: 2023/04/18 تاريخ النشر: 2023/07/30

Abstract:

The content of This research deals with a Very important topic, in which I Will discuss the problem of the influence of the epidemic on hot or cold climatic environments. I have tried through this research to identify the archaeological remains of the human remains revealed by excavations in the frigid and cold regions of northern Europe and Eurasia, which have been presented for scientific research in the scientific laboratories, and which revealed the presence of virus remains on the remains of the dead, and the same case for the different regions of the Arabian Peninsula known by its hot and dry climate, this region of Arabia during Antiquity did not was not spared through the funerary inscriptions which revealed the types of diseases and epidemics inscribed on these tombstones, which were the cause of the death of the owner of the tombstone. Thus, through this study, I will clarify that scientific and archaeological research can respond to the extent of the influence and incubation of cold and hot climates in the spread of epidemics or diseases. Thus, through this study, I will

explain that scientific and archaeological research are the only authorized tools that can respond to the problem of our research, and in what type of climate the spread of epidemics or diseases is active, using the results of scientific research and the remains of archaeological remains, trying to relate the relationship with the epidemiological situation that the contemporary world has experienced with the spread of the "Corona-Covid 19" pandemic.

Keywords: Europe; Eurasia; Arabian Peninsula; Epidemics; Cold climate; Hot climate; Bacteria; Plague; Thamudic inscriptions; Lihyan inscriptions.

الملخص:

يعالج محتوى البحث إشكالية مدى تأثر، ونسبة انتشار الوباء بالبيئات المناخية الحارة أو الباردة، فحاولت الوقوف على نتائج الدراسات العلمية، والمخلفات الاثرية لبقايا هياكل بشرية كشفت عنهم التنقيبات بالمناطق المتجمدة والباردة بأوروبا الشمالية، وأوراسيا، حيث بينت نتائج البحث العلمي المخبري عن إصابة أصحابها بمخلفات فيروسات منذ ما قبل التاريخ، والشأن نفسه بالنسبة لنصوص النقوش الجنائزية التي كشفت عنها الأعمال التنقيبية بمناطق مختلفة من أرض شبه الجزيرة العربية ذات المناخ الصحراوي الجاف، أين بينت نصوص شواهد القبور عن أنواع الأمراض والأوبئة التي كانت سببا في موت العديد من سكان هذه المنطقة. وبالتالي سأحاول التطرق لإشكالية موضوع الدراسة، مستندا على نتائج البحث العلمي والأثري للإجابة على موضوع إشكالية البحث، مبينا إن كان دورا للمناخ في انتشار الأوبئة والأمراض، وحضانته لها، مستعينا كما ذكرت بنتائج البحث العلمي، والمخلفات الاثرية، ومحاولا ربط العلاقة مع الوضع الوبائي الذي عرفه العالم المعاصر بانتشار جائحة "كورونا- كوفيد19".

الكلمات المفتاحية: أوروبا، أوراسيا؛ شبه الجزيرة العربية؛ الأوبئة؛ المناخ البارد؛ المناخ الحار؛ البكتيريا؛ الطاعون؛ النقوش الثمودية؛ النقوش اللحيانية.

مقدمة:

إن تاريخ الأوبئة والأمراض أقدم بكثير مما كان يُعتقد، أين واجهت البشرية منذ العصور القديمة مختلف الأوبئة التي شغلت فكرهم، الأمر الذي جعلهم يدوّنون معاناتهم في شكل ملاحم، وأساطير، وأدعية للشفاء، وتوسلات للمعبودات لحمايتهم منها، فوُجدت مسطُورة ضمن المصادر الأدبية والأثرية بأنواعها المختلفة التي وقفنا عند نماذج منها، إضافة لنتائج البحث العلمي، لإثراء موضوع هذا البحث.

إن الأوبئة والأمراض التي تنتشر بين الأفراد والمجتمعات لتتجاوز حدود أقاليم الدول والقارات فتحولها إلى جوائح، غالبا ما كان لها الأثر السلبي على البشرية، والحضارات منذ الأزمنة القديمة، وحتى زمننا الحاضر مثلما تعيشها البشرية مع انتشار وباء "كوفيد 19"، وظهور سلالاته المتحورة.

فالوباء وهو مرض اجتماعي له آثار مفاجئة وواسعة النطاق، فتاريخ الأوبئة أو أوبئة التاريخ في العصور القديمة غالبا ما كان انتشارها عن طريق المبادلات التجارية، أو الحروب، أو عن طريق الحيوانات، والحشرات، والقوارض، وبالتالي، فإن دراستها في مفترق طرق التخصصات، فهي بالتأكيد تنتمي إلى الطّب، وللجغرافيا البشرية من خلال أنماط انتشارها وآثارها على الديموغرافيا، ولعلم النفس الاجتماعي هو الآخر الذي يعرفنا على الاختلالات المفاجئة التي تسببت في هزّ الأسس الأخلاقية، والمادية للجماعات البشرية.

كشفت الدراسات العلمية الحديثة حول أوبئة وبكتيريا العصور القديمة بعض النماذج التي استوقفتنا، ونردُها لتوضيح الأوضاع البيئية، والصحية والمناخية أثناء تلك الفترة، وآثارها على الإنسان ومحيطه الذي كان يعيش فيه، من بينها جملة من الأوبئة التي تكون قد سادت مناطق شبه

الجزيرة العربية، وأوروبا أثناء العصور القديمة، وفق ما أشارت إليه الاكتشافات والدراسات العلمية لعينات بقايا بشرية، وما رصدته المصادر الأدبية والاثرية القديمة التي وقفنا على نماذج منها، سنردها في حينها.

أسباب اختيار الموضوع:

غالبا ما يتبادر للدهن ان مناطق ارتفاع درجات الحرارة، أو تجمدها لا تسمح بانتشار الأوبئة، لذلك وجدت في المقارنة بين المنطقتين المناخيتين المختلفين (شبه الجزيرة العربية وأوروبا الشمالية وأوراسيا) أثناء العصور القديمة نموذجا مهما للوقوف على مدى انتشار الأوبئة بهما، ووفق ما وقفت عليه من مكتشفات علمية، ومخلفات أثرية.

إشكالية الموضوع:

تتمحور الإشكالية الرئيسية حول السؤال التالي: ما علاقة ظاهرة انتشار الأوبئة والبيئات المناخية الحارة والمتجمدة؟ لتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات: كيف يمكن اكتشاف، والتعرّف على آثار انتشار الأوبئة بالأقاليم الحارة والباردة والمتجمدة؟، وهل يمكن اعتبار أن الأوبئة لا تميز بين البيئات المناخية؟

منهج البحث:

نظرا لطبيعة الموضوع، والمادة المتوفرة استعنت بمنهج البحث التاريخي الذي يسمح بالتعرف على الدراسات في فترات زمنية مختلفة من خلال المصادر المعتمدة، منها مثل المخلفات الأثرية، والدراسات العلمية الحديثة، للكشف عن انتشار الأوبئة بالمنطقتين، والتأكد من صحتها، لإمكانية إسقاط ما تمّ الوصول إليه من معلومات على أحداث الزمن الحاضر.

1- أوبئة الأقاليم الباردة أثناء العصور القديمة:

قبل الخوض في الموضوع يتبادر للدهن سؤال يجب طرحه مفاده: هل يمكن للمناخ البارد أن يحضن الفيروسات، وأنواع الأوبئة؟ وللإجابة على هذا السؤال، يجب الوقوف على الدراسات العلمية الحديثة المتطورة، والأخذ بنماذج للوصول إلى التأكيد أو التفنيد. ومن جملة الاكتشافات التي أفادتنا باكتشافات علمية، نذكر منها الاكتشاف الذي استعان الباحثون به بواسطة المجهر الضوئي على عمق 30 مترًا تحت الأرض، فاستطاعوا الكشف عن ما يُعرف اليوم بالفيروس الذي يعود لعصور ما قبل التاريخ بالمناطق المناخية المتجمدة شمال شرق سيبيريا بمنطقة (تشوكوتكا- Tchoukotka) الروسية، الذي قدّر عمره بنحو 30.000 إلى 40.000 عام، وأطلق عليه الاسم اللاتيني"Pithovirus sibericum"، واستطاع فريق بحثي فرنسي روسي أخذ عينات من التربة الصقيعية المجمدة بشكل دائم لآلاف السنين بالموقع، التي تجاوز سمكها 1500متر، وتشير نتائج تنقيبات هذا الفريق البحثي عن اكتشاف تسلسل "فيروس الجدري" على بقايا امرأة مجمدة ظلت محفوظة في التربة الصقيعية لمدة 300 عام في (لاكوتي- Lakoutie) شمال شرق سيبيريا. وتوصل الباحثون أن التنقيبات عن المعادن، والغاز الطبيعي، والنفط في أعماق كبيرة بهذه المناطق الباردة مثل سيبيريا(روسيا)، سيؤدي حتما لانتشار طبقات من الاتربة الصقيعية المتجمدة التي لم يتم لمسها من قبل منذ ملايين السنين، وسينتج عن ذلك تناثر أتربتها الموبوءة في الهواء الطلق، التي ستظهر وتنتشر على السطح، وقد تحتوي على فيروسات خطيرة، وبالتالي ستكون في اتصال مباشر مع البشر، وتنتشر عدواها بين البشر[1]. كما استطاعت الدراسات العلمية الحديثة أن ترفع اللثام عن أسرار إصابة البشر بالأوبئة والأمراض أثناء عصور ما قبل التاريخ، ومن العينات نذكر:

1–1 المرأة السويدية وبكتيريا الطاعون (5000 قبل الميلاد):

اكتشف الباحثون في السويد عن بكتيريا طاعون ببقايا عظام امرأة ماتت وعمرها عشرون سنة قبل حوالي 5000 عام، ويُرجّح الاحتمال في ذلك أن تزامن وجود هذه البكتيريا للافتقار إلى النظافة، والاكتظاظ السكاني، وبالتالي أدى ذلك إلى انتشار الوباء، ويعتقد أيضا أن السلالة التي تم تحديدها، وهي الأقدم على الإطلاق، لا تشبه السلالات الأخرى، وهذا يعني أنه ربما كان هناك العديد من سلالات الطاعون المنتشرة اثناء هذه الفترة من العصر الحجري الحديث، نتيجة الهجرات السكانية من سهول أوراسيا إلى أوروبا، فجلبت معها الطاعون، لكن لم يكن لدى المرأة السويدية المتوفاة ملف تعريفي لحمضها النووي "DNA "[2] الذي يشير إلى أنها من أصل أوراسي (أوراسيا)، ولم يكن هناك دليل تاريخي، أو أثري يشير لحدوث غزو في ذلك الوقت نحو السويد التي وجدت فيها جثتها المتجمدة[3].

وبالتالي، يمكن للمرء أن يتخيل أنه عندما أنتشر الطاعون بالمستوطنات ذات الكثافة السكانية العالية، مات الناس، وتمّ التخلي عن تلك المستوطنات، ودمّرت، ويذكر أيضًا أن الطاعون بدأ في الهجرة على طول جميع الطرق التجارية التي أصبحت ممكنة بفضل وسائل النقل المستحدثة، وبالأخص بعد ظهور العجلات الذي تطور استعمالها بسرعة في أوروبا خلال هذه الفترة، فسهلت التنقل، لكن المستخلص من نتائج البحث التي خصّت بكتيريا هذه المرأة السويدية، أنها ماتت منذ ما يقرب من 5000 عام نتيجة أقدم سلالة طاعون تم تحديدها، تكون قد أهلكت سكانا من العصر الحجري الحديث في المستعمرات، أو التجمعات حيث الكثافة السكانية الكثيفة التي سهلت لانتشار العدوى[4].

وإذا ما رجعنا لانتشار الأوبئة بالمستوطنات السكانية ذات الكثافة المرتفعة، وتدميرها بالكامل، لأن بقاياها تسهل سرعة انتقال العدوى الوبائية، ففي مثل هذه الحالات لا يمكن الاستغناء عن علم الاثار الذي كشف عن الهياكل العظمية بالمنزل المسمى " F40" شمال شرق الصين، الذي وجد به حوالي 100 هيكل عظمي، أحرقوا بداخله نتيجة إصابتهم بوباء يكون قد حدث في "هامين مانغا Hamin Mangha " بالصين[5] قبل عصرنا بحوالي 3000 سنة، تسبّب في إبادة قرية بأكملها، ولم تسلم منه أية فئة عمرية، كان مميتاً لدرجة أن جميع الجثث الموبوءة جمعت في منزل واحد، وأضرمت فيها النيران، امّا الناجون من هذا الوباء هاجروا قريتهم بأكملها، هذا وعانت قرية "مياوزيغو – Miaozigou "في شمال شرق الصين نفس المصير، وبالتالي فالاكتشافين الإثنين يبينان أن الوباء قد دمر المنطقة بأكملها[6].

1-2 طاعون العصر البرونزي بأوراسيا 2800 قبل الميلاد:

كشفت الدراسات العلمية المخبرية التي أجريت بجامعات كل من كوبنهاغن (الدانمارك)، وكمبريدج (بريطانيا)، وبعد فحوصات الحمض النووي الخاص لبقايا ومخلفات هياكل أشخاص يؤرخ لهم أنهم عاشوا أثناء العصر البرونزي بأوروبا وآسيا حوالي 2800 قبل الميلاد، تبيّن من خلال العينات التي أخذت من أسنانهم، أنهم قد أصيبوا ببكتيريا " يرسينا باستيس– Yersinia Pestis"[7] التي أدّت إلى تفشي "الطاعون الدّبلي" أكثر الأوبئة المدمرة في التاريخ، والتي تسببت في موت العديد منهم، وحسب الأبحاث العلمية المخبرية دائما يكون قد انتشر هذا الوباء قبل التاريخ المذكور أعلاه بنحو 3800 سنة قبل الميلاد بمنطقة (سمارا–SAMARA) الروسية القريبة من الحدود الكازاخية(كزاخستان)[8] ، ما يقارب 1000 سنة عن الاكتشاف الأول، ويعزى انتقال عدواه عن طريق الحشرات(البراغيث)، مما أدى بالوصول لهذا الطاعون إلى مستويات ما يُعرف

اليوم بالجائحة[9]، وتسبب في وفاة أعداد كبيرة مثلما تبينه المقبرة الجماعية بمنطقة (باتيني) المطلة على جبال (الطاي) بروسيا الوسطى التي دفن بها الموتى المصابين به بين سنوات 2782 و2792 قبل الميلاد[10]. وبالتالي نستخلص من نتائج هذه الدراسات، والنماذج المذكورة أن الأوبئة يمكن لها التعايش مع الأجواء المناخية الباردة.

2– أوبئة الأقاليم الحارة أثناء العصور القديمة:

حاولت دراسة الأوبئة التي سادت شبه الجزيرة العربية من خلال نصوص النقوش، بحكم أن هذه الرقعة الجغرافية تقع بمنطقة يغلب عليها الطابع الصحراوي الحار. وبالتالي يلاحظ أن هنالك عدة عوامل ساهمت في تفشي الأوبئة والأمراض بشبه الجزيرة العربية قديما، وبالتالي لم يختلف سكانها في الاعتقاد الذي كان سائدا بين سكان الحضارات القديمة على أن المعبودات هي المتسببة في انتشار وتسليط الأوبئة والأمراض على السكان المخالفين لما شرعته لهم من أنظمة عيش وعقائد، كما كانت الحروب هي الأخرى إحدى أسباب انتقال الأوبئة عبر الجيوش التي كانت تحملها معها، وما تسبب فيه الحروب من قتلى، وتعفّن جثث القتلى نتيجة المعارك، وما نتج عنه من انتشار الأوبئة المصحوبة بروائح عفنت المحيط، وأثّرت على الإنسان، إلى جانب كل ذلك، نجد أن الظروف الطبيعية القاسية بشبه الجزيرة العربية عموما وقلّة مصادر الماء خاصة بالجنوب، قد دفع بالسكان إلى استغلال المياه الراكضة مستقر الحشرات مثل البعوض التي كان من بين أسباب انتقال، الأمراض والأوبئة بين الناس، فكان له التأثير الكبير والواسع على الوضع الصحي لسكان شبه الجزيرة العربية بكل مناطقها. السؤال المطروح: هل الإقليم المناخي الحار بشبه الجزيرة العربية كان حاجزا أمام انتشار الأوبئة؟ وكيف تم التعرف على انتشارها؟ وما هي

مصادرها؟ وطريقة الوقاية منها؟، للإجابة على هذه الأسئلة، يستلزم ذلك الاعتماد على المخلفات الأثرية خاصة، مع ذكر نماذج عن ذلك.

2-1 الأوبئة والامراض باليمن القديم:

خلّف لنا سكان اليمن القديم عددا من النقوش أمكن للباحثين استخلاص منها مجموعة من الألفاظ الخاصة بالمرض وأنواعه[11]، وطرق علاجه[12]، وتضمنت أيضا عبارات الشكر للمعبودات التي حمتهم، وأشفتهم من مختلف الأمراض والأوبئة، والأمثلة عديدة عن ذلك، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر نص النقيشة التي يبيّن نصها تقدُّم صاحب إهداء بقربان يشكر فيه المعبود الذي نجّاه من مرض أصابه[13] بمنطقة (ظُفار)[14]، و تقدُم شخص آخر بقربان لمعبوده بعد نجاة جسده من الطاعون (ع و س) [15] الذي انتشر في البلاد، زيادة لعبارات التوسل لهذه المعبودات لكي تحميهم، وترعى أبدانهم من الأمراض، مقابل القرابين التي كانوا يقدمونها لها، مثلما يبيّنه نص إحدى النقوش التي تبيّن كيف تقدّم شخص بقربان لمعبوده لما عفاه من بلاء، وشفاه من المرض، كما طلب أن يستمر (المعبود) في حراسة بدنه من كل مرض (م ر ض م)"[16].
وبالتالي يستخلص من خلال هذا العرض، ان الوباء كان منتشرا بهذه المنطقة الحارة.

2-2 الأمراض والأوبئة بشبه الجزيرة القديمة من خلال النقوش:

لم تخل نصوص النقوش الثمودية من الإشارات للأمراض، فكشفت لنا عن المفردات الدالة على المرض، وكل ما يدل على الأمراض العضوية، وحتى النفسية منها، كما كشفت لنا عن أسماء بعض المعالجين، وأدعية للمريض بالشفاء، والاستثناء الذي لاحظناه أن بعض من نصوصها تضمنت الدعاء بالمرض على بعض الأشخاص عقابا لهم، من بينها: (ت ش ق ق) التي تدل

على المرض، و (أ ن)، و(ع ل) بمعنى يُعلّ من المرض، و(ت ن) معناها: قد أتتّه المرض، و(س ق م) من السّقام الذي يقصد به المرض[17]. وفيما يخص انتشار الأمراض العضوية، استوقفنا نص نقيشة عثر عليها بمنطقة (حائل) بالمملكة العربية السعودية، ذُكر ضمن محتواها نوعا من المرض يخص تشقق الجلد الذي أصيب به أحد العبيد، في حين نجد أن مضامين هذه النقوش لم تغفل الدعاء للمريض بالشفاء من عدة أمراض من بينها آلام الأسنان[18]، ويذكر في هذا الصدد الباحث "سليمان الذييب" أن الثموديين بمنطقة (حائل) لم يكتفوا برصد الأمراض على نقوشهم، بل اهتموا أيضا بذكر وصفات علاجها، وكيفية التخلص منها، مثل مرض الهزال الشديد الذي قد يُقصد به السرطان أو الإيدز المعروفان حاليًّا، أو مرض البرص، ويضيف أن محتويات هذه النقوش تضمنت علاج البعض من هذه الأمراض، ويشير لنا لاسم معالجان وهما "دَقْل " و "تْس " اللذان عالجا كل من "بدرًا" و"ملودًا "[19]، ومن جهة أخرى نجد ضمن محتويات هذه النقوش أن أصحابها قد شُفيُو من مختلف الأمراض بعد العلاج والمداواة مثلما يبّنه محتوى نقش (الجوف) الثمودي بالمملكة العربية السعودية، يذكر صاحبه أنه أصيب بمرض، وعولج منه، وشفي[20].

تضمنت محتويات النقوش الثمودية أيضا لنوع آخر من الأدعية المخالفة للأولى، تتمثل في الدعاء على الشخص بالمرض، وقد استوقفتنا نقيشة (غرب تيماء بالمملكة العربية السعودية) التي يشير مضمونها لدعاء شخص (صاحب النقيشة) يترجى فيه المعبود " نهى" لكي يصيب شخص اسمه (رم بن نتن ال" بالجرب[21]، مما يدل أن هذا الداء كان معروفا ومنتشرا بهذه المنطقة. كما عرف الثموديون الأمراض المميتة، مثلما تؤكده محتويات نصوص النقوش بمنطقة (حائل)، إذ تشير إحداها لمضمون مفاده أن شخصا اسمه "أَسْحم بن سَالِم" أشار لوفاة والديه نتيجة مرض خطير ألمَّ بهما[22]، ونفس الشخص يذكر في النقيشة أن ابن خالته نجا من المرض مع أنه عاني ما

عاناه والداه، كما سُطرت بعض النقوش بعبارات الأحزان، إذ نجد المدعو "جَتّ" يبكي لما علم بمرض "أشعت " بالطُحال[23].

كما كشفت لنا النقوش اللّحيانية هي الأخرى عددا من الألفاظ الدالة عن الأمراض، مما يوحي أن المنطقة تكون قد تعرضت لانتشار الأمراض، وحتى علاجها من خلال المخلفات الأثرية التي عثر عليها في المعابد اللّحيانية، مثل الغرف التي احتوت على بقايا القرابين، التي يكون البعض منها قد استخدم لعلاج المرض، او لغرض الشفاء[24].

كما لا يمكن الاستغناء عن نصوص النقوش التي خلفت لنا معلومات عن أنواع من الأوبئة والأمراض بجنوب شبه الجزيرة العربية مع بداية القرن الثاني الميلادي، إذ تشير إحداها لوباء ضرب منطقة (جرو– Garw) التي تسمى اليوم باسم (بيت الأحرق شمال شرق رداع) سنة 81م، الأمر الذي دفع أحد الأشخاص ببناء بئر، في وقت كانت الحرب قائمة بين ملك (سبأ وذو ريدان)، مع ملك (حضرموت وقتبان)، نتج عن هذه الحرب تلوث الآبار التي لم تسلم منها آبار وادي (حجلة)[25].

إضافة إلى ذلك، تمّ الكشف عن محتويات نقيشتين تلمحان لوجود الوباء، وتقدم أصحابها بعبارات الشكر للمعبود الذي أنقذهم من المرض الوبائي الذي ضرب جميع أنحاء البلاد، ولم يكتف عرب الجنوب بتقديم الشكر للمعبودات التي كانت تحميهم، وتحمي عائلاتهم، بل تقدموا إليها بهدايا، منها إهداء سيدة تمثالا صغيرا للمعبود "عزلات" الذي أنقد حياة خادمتها المدعوة "غدير" من العدوى، والموت[26].

المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية.
المجلد 09 العدد 01 – جويلية 2023
ر.ت.م.د: 2437-0797
ر.ت.م.د إ: 2600-6782
الإيداع القانوني: 2015-6799
ABOM

أكدت الوثائق التاريخية والأثرية أن القرنين الأول الثاني الميلاديين قد عرفا انتشار الأمراض، في حين كشفت الدراسات بالنسبة للفترات التالية على إشارات (نقوش) ذُكر فيها الوباء، الأولى تخص القرن الرابع الميلادي، والثانية تعود للقرن الخامس الميلادي، والأخيرة مؤرخة للقرن السادس الميلادي. ففي الرُبع الأول من القرن الرابع الميلادي، تشير النقيشة لشخص تقدم بإهداء تمثال حصان يمتطيه فارس، مصنوع من البرونز كعربون شكر للمعبود "إل مقه"[27] الذي أنقذ البلاد من الحمى الشديدة، أما النقيشة الثانية التي تعود إلى آخر إصلاح لسد مأرب من جوان 547م إلى مارس 549م والذي وقف العمل به أثناء هذه الفترة نتيجة تفشي الأمراض التي انتشرت بين القبائل وبمدينة (مأرب) التي غزاها المرض شهر فبراير 548م، ويُحتمل أن هذا الوباء هو امتدادا لوباء "جوستينيانوس"[28] المنتقل لدلتا النيل، والساحل الافريقي، وفلسطين، وسوريا، لكنّه يصعب تحديد محتوى النقيشة الثالثة، إلا أن السطر السادس منها مكّن مترجمها بأن يرى إشارة محتملة إلى الوباء، أو العدوى، ويقول أنه ليس من المستحيل أن مضمونها يدور حول وباء عهد "أبرهة الحبشي"، في غياب دلائل ثابتة[29].

ظهر طاعون "جوستنيانوس"[30] للمرة الأولى في مصر، قبل أن ينتشر في فلسطين وسواحل البحر الأبيض المتوسط كافة، لقد غيَّر هذا الطاعون مسار تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، إذ أفسد خطط الإمبراطور "جستنيانوس" لجمع شتات الإمبراطورية الرومانية، وسبّب صراعاً اقتصادياً هائلاً، كما يُنسب إليه خلق أجواء نهاية العالم التي حفّزت الانتشار السريع للديانة المسيحية .

أدَّى تكرار تفشي هذا المرض على مدار القرنين التاليين، إلى موت قرابة 50 مليون شخص، أي 26% من سكان العالم، ويُعتَقد أنه يُمثّل الظهور البارز الأول للطاعون الدبلي الذي

تحمله الفئران، وتنشره أيضا البراغيث، ومن أعراضه تضخم العقد اللمفاوية، وفي السياق نفسه، نجح باحثون في استخراج الحمض النووي من بقايا ضحيتين بمقبرة بمنطقة " بفاريا–Bavaria" بألمانيا، كشفت النتائج العلمية على إثرها إصابتهما بالطاعون، ووفقًا للدراسة التي نشرتها مجلة "لانسيت– Lancet" حول الأمراض المعدية يُعتقد أن طاعون "جستنيانوس" قد أصابهما، ومكّن العلماء من احتمال موت أحد الأشخاص موضوع الاختبار، بعد إصابته بهذا الطاعون بين 525 و550 م، وهي الفترة المتزامنة مع طاعون "جوستينيانوس" .

لكن السؤال الآخر المطروح، هل حالات تفشي العدوى بجنوب الجزيرة العربية أثناء القرن الثاني الميلادي تكون لها علاقة بالأوبئة التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية؟ لأن الوباء الذي انتشر بجنوب الجزيرة العربية مع القرن الثاني الميلادي، ألا يمكن تقريبه إلى "الطاعون الأنطونيني" الذي دمّر الإمبراطورية الرومانية ابتداء من عام 166م. كما لم تسلم معبودات الجزيرة العربية القديمة على انها سببا في انتشار الأوبئة والامراض، نذكر نماذج منها:

2–3 المعبود " إل مقه" مصدر المرض والشفاء بمملكة سبأ:

يستخلص من الدراسات التي تناولت موضوع علاقة الأوبئة والأمراض من خلال النقوش السبئية المكتشفة[31]، أن المعبودات هي التي تسببت في نشرها، والأمثلة عديدة، فضمن إحدى النقوش السبئية، وردت إلينا معلومات مفادها أن شخصا يدعى " ثوب إل"، ارتكب خطأ في معبد المعبود "إل مقه"[32]، فعوقب بمرض أضراسه، وفي نقش سبئي آخر ورد ضمنه أن المعبود " إل مقه" سلّط عقوبة المرض على عبده المسمى" أجرم" لمدة ستة أشهر.

لم يقتصر دور المعبودات عند سكان اليمن القديم وأهل سبأ خاصة على نشر الأوبئة والأمراض على البشر الذين يُخلُّون بواجباتهم تجاه معبوداتهم، بل كانوا يتقربون إليها بالأدعية والقرابين لغرض حمايتهم من الأوبئة والاسقام مثلما تبيّنه نماذج من هذه النصوص التي وثّقت لنا إقدام الساكنة على تقديم القرابين للمعبود" إل مقه" شكرا وعرفانا على ما منّ عليهم بنعمة الشفاء من المرض، فها هي السيدة "عمرم" وابنتها من عائلة "خنعُم" تتقدمان للمعبود "إل مقه" بتمثالين مؤنثين من البرونز، وذلك لسلامة ابدأنهما، والشأن نفسه بالنسبة لشخص من قبيلة "كُهاليان" الذي تقدم بتمثالين لنفس المعبود لنجاته من المرض، ونفس النهج اتبعته " شفاني حلف" و"نعيم جدّ" اللتان تنتميان لعائلة "مرضوت"، وخادمات قبيلة "حلجلم" قدمتا تمثالين برونزيين نذرتهما للمعبود "إل مقه" حمدا وشكرا، لأنه نجّى، وخلّص ابنتهما من ألم أصابهما[33]. وبالتالي يستخلص أن المعبودات كأنت بمثابة المعاقب والطبيب الشافي في نفس الوقت.

ونتيجة تشابه مميزات مناخ شبه الجزيرة العربية منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد حتى الآن[34]، فلا نستبعد أن الظروف التي أحاطت بحياة الانسان بهذه المنطقة مثل الامراض، والاوبئة، وباقي عناصر الحياة الأخرى قد تشابهت هي الأخرى، إلا أن الفارق بين الفترتين يكمن في الحلول الطبية والوقائية لمواجهة الجوائح في وقتنا الحاضر، وتحول مجتمع الجزيرة العربية من حياة الترحال والبداوة إلى حياة الاستقرار داخل أنسجة حضرية يسهل التعامل معها صحيا، ووقائيا.

الخاتمة:

ونختم الدراسة، بالقول أن وباء العالم الحديث "كوفيد 19" المستجد ليس بالأول ولا بالأخير الذي أصاب سكان المعمورة برمتها، بأقاليمها الحارة والباردة، وبالتالي نجد أن مناخ الوباء، أو وباء المناخ بكل أنواعه لا يشكلان عائقا لانتشاره مثلما بينّاه من خلال أمثلة عن منطقتين

المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية.
المجلد 09 العدد 01 – جويلية 2023
ر.ت.م.د: 2437-0797
ر.ت.م.د إ: 2600-6782
الإيداع القانوني: 6799-2015

مناخيتين مختلفتين واحدة باردة وأخرى حارة، فكل من البيئتين المناخيتين قد تعرضتا للأوبئة بطفراتها الجينية المختلفة، التي كانت سببا في موت العديد من سكان المنطقتين مثلما كشفت عنها الدراسات العلمية المخبرية، وبينته نقوش شواهد القبور، فلم تسلم من آثار الأوبئة القاتلة لا المناطق الحارة، ولا الباردة مثلما هو الشأن بالنسبة لجائحة " كورونا" التي لم تسلم من آثارها التجمعات السكانية بأنواعها، وبأقاليمها المناخية المتنوعة.

الهوامش:

1 - Richard Bellet, Des virus préhistoriques, société sciences, JDD 29 mars 2014. https://www.lejdd.fr/Societe/Des-virus-prehistoriques-659129-3187739

-2 DNA(= Deoxyribonucleic Acid)

3 - Marie-Céline Ray, La peste aurait décimé les Européens au néolithique, Santé Actualités, FUTURA, Publié le 10/12/2018 . https://www.futura sciences.com/sante/actualites/maladie-peste-aurait-decime-europeens-neolithique-74253/

4 - Marie-Céline Ray, op.cit, Publié le 10/12/2018.

5– يتواجد موقع " هامين مانغا- Hamin Mangha " شمال شرق الصين، إذ عثر على بقايا عظام بشرية قارب عددها 100 جثة مكدسة داخل منزل صغير ، فالموت الجماعي لسكان هذا الموقع ربما لسبب وباء من نوع ما، والذي لم يترك أي وقت للناجين لدفن موتاهم وفق الطقوس المعتادة، او على الأقل بالشكل الصحيح.

6- Brigitte Duzan, Les épidémies dans l'histoire chinoise (I) Première grande épidémie : 3000 ans avant notre ère, 8 avril 2020, http://www.chinese-shortstories.com/Articles_Epidemies_II_Hamin_Mangha.htm

7– تمّ كتشافها من طرف عالم البكتيريا الفرنسي–السويسري " ألكسندر يارسين" سنة 1894م.

8- Maria A .Sepyrou and others, Analysis of 3800-year-old Yersinia Pestis genomes suggests Bronze Age origin for bubonic plague, Nature Communications , (2018), p9 .

9- Daniel Weiss, Bronze Age Plague, Samara Russia, Arheology, A publication of the Archaeological Institute of America, January/February, 2009/ https://www.archaeology.org/issues/324-features/top10/7200-russia-samara-bronze-age-plague

10- Maria A .Sepyrou and others, op,cit, p 9.

11– لتفاصيل أكثر، ينظر: عارف أحمد إسماعيل المخلافي، الطب في اليمن القديم، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد الثامن، 1434هـ/2013م، الجدول 1، صص 96-98

12- نفسه، ص ص، 116 - 128

13- نفسه، صص104-105

14- هي اليوم محافظة تابعة لسلطنة عُمان.

15- يقصد بها الطاعون.

16- عارف أحمد إسماعيل المخلافي، المرجع السابقA .Sepyrou and others ، ص104.

17- فايز أنور عبد المطلب مسعود، الامراض من خلال النقوش الثمودية، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد 23، العدد22، 2020صص303-304

19- سليمان بن عبد الرحمن الذييب، الحياة الاجتماعية قبل الميلاد في ضوء النقوش الثمودية في منطقة حائل، قراءات، العدد الأول، الرياض، رجب- شعبان 1438هـ/ أبريل مايو 2017م، ص 13

20- نفســه، صص 13-14، والنقائش 75،34،31

21- سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية جديدة من الجوف المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 200"، نق(النقيشة 37).

22- فايز أنور عبد المطلب مسعود، المرجع نفسه، ص ص 303- 321

23- لا يستبعد أنه الجدريّ، أو وباء انتشر في المنطقة. لتفاصيل أكثر ينظر: سليمان بن عد الرحمن الذييب، المرجع نفسه، ص13، النقيشة 91

24- نفسه، ص 13، النقيشة 88

25- ناصر مكاوي، حسين قدرة، كاريمان عمر، أساليب الطبابة عند عرب شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال النقوش، مجلة كلية الآثار، المجلد 7، العدد 23، 2020، ص17.

26- Robin Christian Julien, Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud, d'après une inscription datée (IIe s. de l'ère chrétienne). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 136e année, N. 1, 1992. p222(pp. 215-234)

27- Ibid, p 231

28- معبود القمر الوثني.

29- نسبة للإمبراطور البيزنطي "جوستينيان".

30 - Robin Christian Julien, op. cit, pp232-233

31- http://www.chaos- controle.com/archives/2014/01/30/29076453.html

32- سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، نقوش سبئية جديدة في ذكر المرض، مجلة العصور، المجلد الثاني عشر، الجزء الثاني، 1423هـ/ 2002م، ص8.

33- سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، المرجع نفسه، صص 10-13

34- جيريمي شيتكات، حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية، صص 107-117، ص108

القائمة البيبليوغرافية:

- Richard Bellet, Des virus préhistoriques, société sciences, JDD 29 mars 2014. https://www.lejdd.fr/Societe/Des-virus-prehistoriques-659129-3187739

- Marie-Céline Ray, La peste aurait décimé les Européens au néolithique, Santé Actualités, FUTURA, Publié le 10/12/2018 . https://www.futura sciences.com/sante/actualites/maladie-peste-aurait-decime-europeens-neolithique-74253/

- Brigitte Duzan, Les épidémies dans l'histoire chinoise (I) Première grande épidémie : 3000 ans avant notre ère, 8 avril 2020, http://www.chinese-shortstories.com/Articles_Epidemies_II_Hamin_Mangha.htm

- Daniel Weiss, Bronze Age Plague, Samara Russia, Arheology, A publication of the Archaeological Institute of America, January/February, 2009/ https://www.archaeology.org/issues/324-features/top10/7200-russia-samara-bronze-age-plague

– عارف أحمد إسماعيل المخلافي، الطب في اليمن القديم، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد الثامن، أبريل2013م، ص93-130.

– فايز أنور عبد المطلب مسعود، الامراض من خلال النقوش الثمودية، دراسات في آثار الوطن العربي، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 23 ، 2020، ص300-331

– سليمان بن عبد الرحمن الذييب، الحياة الاجتماعية قبل الميلاد في ضوء النقوش الثمودية في منطقة حائل، قراءات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، رجب- شعبان 1438هـ/ أبريل مايو 2017م.

– سليمان بن عبد الرحمن الذييب، نقوش ثمودية جديدة من الجوف (المملكة العربية السعودية)، مكتبة الملك فهد، الرياض،1420هـ .

– ناصر مكاوي، حسين قدرة، كاريمان عمر، أساليب الطباعة عند العرب شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام من خلال النقوش، مجلة كلية الآثار، المجلد7، العدد 23، 2020، ص14-27

- Robin Christian Julien, Guerre et épidémie dans les royaumes d'Arabie du Sud, d'après une inscription datée (IIe s. de l'ère chrétienne). In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 136e année, N. 1, 1992. pp. 215-234

– سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، نقوش سبئية جديدة في ذكر المرض، مجلة العصور، المجلد الثاني عشر، الجزء الثاني، 1423هـ/ 2002م، ص7-21.

شيتكات جيريمي، حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية: اليمن موطن الآثار، Centre français de recherche de la péninsule Arabique,Paris, 2020, pp107-117. (généré le 14 novembre 2022). ISBN : 9782909194677. DOI : https://doi.org/10.4000/books.cefas.2516.